

الهجرة الصينية إلى الولايات المتحدة الأمريكية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الدوافع، التوزيع والتحديات

محمد عبد الرحمن نايل بني سلامة*

ملخص

تسلط هذه الدراسة الضوء على الهجرة الصينية المبكرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، معللة أسباب تلك الهجرة، نوعية المهاجرين، تعدادهم، أماكن توزيعهم وطبيعة المجتمع الصيني - الأمريكي في العالم الجديد، وأبرز التحديات التي واجهته، وترصد كذلك الموقف الأمريكي على المستويين الرسمي والشعبي من تلك الموجة من المهاجرين.

الكلمات الدالة: تاريخ الولايات المتحدة، تاريخ الصين، الأقلية الصينية في أمريكا، الهجرة الصينية.

المقدمة

تعد الأقلية الصينية واحدة من أقدم الأقليات وأهمها التي هاجرت إلى الساحل الغربي للولايات المتحدة الأمريكية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مدفوعة بعوامل داخلية وخارجية أسهمت في تشكيل مجتمع صيني - أمريكي متميز له طابعه الخاص، حيث واجه المهاجرون - على الرغم من الجهود التي بذلوها في إعمار مدن الساحل الغربي - تحديات قانونية، ومنظومة مجتمعية معقدة، جعلت منهم أقلية مغلقة على ذاتها، فشلت في الاندماج والتكيف مع محيطها الكلي، مما انعكس على حاضرك تلك الأقلية حتى اليوم. وعليه، فإن الفهم الحقيقي لطبيعة المجتمع الصيني - الأمريكي كأحد مكونات المجتمع الأمريكي، يستدعي بالضرورة العودة إلى الخمسينيات من القرن التاسع عشر، حيث البدايات الأولى للوجود الصيني في العالم الجديد، من خلال رصد العلاقات الغربية الصينية ودورها في انفتاح الصين على العالم، وتتبع عوامل الطرد والجذب وانعكاسها على تدفق سيل المهاجرين الصينيين إلى الخارج، وصولاً إلى فهم العوامل التي أثرت في طبيعة تكوين البناء الاجتماعي والاقتصادي للأقلية الصينية.

مشكلة الدراسة: تتلخص مشكلة البحث في التعريف بالعوامل التي ساهمت في تعطيل اندماج المهاجرين الصينيين

إلى الولايات المتحدة الأمريكية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كمواطنين يتمتعون بحقوق المواطنة، أسوة بغالبية الأقليات المهاجرة، على الرغم من تأثيرهم الفاعل في بناء وتنمية الولايات الأمريكية الغربية حديثة التكوين.

أهمية الدراسة: تاريخياً، يعد القرن التاسع عشر هو قرن الهجرة التي شكّلت الواقع السكاني للولايات المتحدة الأمريكية، حيث أدت الأقليات - ومنها الشرق آسيوية - دوراً جوهرياً في تأسيس البنية الاقتصادية والاجتماعية للولايات الأمريكية الناشئة، ولما كانت الأقلية الصينية من أكبر الأقليات الآسيوية المهاجرة تعداداً، وأهما تأثيراً على المستويين الاقتصادي والاجتماعي آنذاك، فإن دراسة تلك الأقلية يُعد مدخلاً لفهم نوعية الهجرات السكانية في تلك الفترة، دوافعها ومحدداتها، وما هي الأسباب الكامنة وراء رفض المجتمع الأمريكي استقبال الهجرات الصينية، على الرغم من الحاجة الماسة إليها، خاصة في الولايات الغربية التي كانت بحاجة لتلك الأيدي العاملة، وما مدى انعكاس القيود القانونية التي فرضت على تلك الأقلية في تطورها التاريخي كجزء من مكونات المجتمع الأمريكي الحالي.

استندت الدراسة على وثائق وإحصائيات ومذكرات تاريخية، لتكون عوامل أساسية مساندة في الإجابة عن الأسئلة المطروحة، وهو ما يجعل منها أول دراسة باللغة العربية تعالج مشكلة الأقليات في المجتمع الأمريكي بشكل عام، والأقلية الصينية بشكل خاص، في إطار تاريخي موضوعي يأخذ بعين الاعتبار وجهتي نظر متضادتين في تحليل جوهر مشكلة المجتمع الصيني الأمريكي منذ بدايته حتى الوقت الراهن.

* قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن. تاريخ استلام البحث 2016/3/20، وتاريخ قبوله 2016/7/9.

المتعلقة بأعداد المهاجرين صعوداً أو نزولاً خلال فترة الدراسة.
5- أما بخصوص تفاعل المجتمع الأمريكي مع الهجرة الصينية وعلى المستويين الرسمي والشعبي فيعد كتاب (نحن الشعب والآخرين) We the People and Others لمؤلفه: B. Ringer من المصادر المهمة لفهم التحولات التي طرأت على المجتمع الأمريكي فيما يتعلق بالأقليات المهاجرة، وقد خصص المؤلف باباً للحديث عن الهجرة الصينية، وصولاً إلى إصدار الحكومة الأمريكية قانوناً يحظر الهجرة الصينية إلى أراضيها، معللاً الدوافع وراء استصدار ذلك القانون الفريد من نوعه في تاريخ الولايات المتحدة وقوانين الهجرة والجنسية بشكل خاص.

فرضية الدراسة: مع اكتشاف مناجم الذهب في الولايات الأمريكية الغربية، وتحديدًا في كاليفورنيا California في النصف الثاني من القرن التاسع، عشر برزت الحاجة إلى أيدي عاملة رخيصة، وهو ما تزامن مع ظروف داخلية وخارجية، جعلت من الصينيين أقلية مؤهلة لتأدية ذلك الدور، وبعد مضي سنوات قليلة على تدفق العمالة الصينية المهاجرة، بدأ المجتمع والحكومة الأمريكية بانتهاج مواقف صريحة بضرورة وقف تلك الهجرة، ولذلك وضعت سلسلة من التقييدات القانونية والاجتماعية والاقتصادية، جعلت من الصينيين في الولايات المتحدة أقلية منبوذة وغير مرحب بها.

تفترض الدراسة أن النظرة العنصرية ومزاحمة العمالة الوافدة للعمال البيض كانت الأسباب الجوهرية في المطالبة بوقف الهجرة الصينية، وهناك أسباب أخرى مضافة تتعلق بطبيعة المجتمع الصيني في أمريكا، من حيث العادات والتقاليد والتعداد، جميعها جعلت من المطالبة بوقف تلك الهجرة أمراً حيوياً بالنسبة للسكان البيض، وهو ما جعل الحكومة الأمريكية ترضخ لتلك المطالب باستصدار قانون استبعاد الصينيين في عام 1882م.

أسئلة الدراسة: جاءت هذه الدراسة للإجابة عن الأسئلة التالية:

- 1- ما الظروف الدولية والمحلية التي أدت إلى تدفق المهاجرين من الصين إلى الولايات المتحدة مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر (عامل الطرد والجذب)؟
- 2- ما نوعية المهاجرين وتعدادهم وأماكن توزيعهم؟
- 3- ما الحالة الاجتماعية والاقتصادية التي عاشتها تلك الأقلية في المجتمع الأمريكي؟
- 4- ما الأسباب الحقيقية وراء استصدار الحكومة الأمريكية قانون استبعاد الصينيين Chinese Exclusion Act في عام 1882 والذي أوقف بموجبه الهجرة الصينية إلى الولايات المتحدة؟

الدراسات السابقة: تناولت العديد من الدراسات الهجرة الصينية الخارجية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، سواء إلى الولايات المتحدة الأمريكية أو إلى غيرها من المناطق، ولكن قليل منها فقط تناول هذا الموضوع ضمن إطار تاريخي متسلسل، مدعماً بإحصائيات وأرقام في محاولة لربط الظروف الداخلية التي مرت بها الصين في تلك الفترة، وانعكاسها على واقع الهجرة إلى الولايات المتحدة تحديداً، ومن الدراسات المتميزة في هذا المجال:

1- دراسة بعنوان (الصين والصينيون فيما وراء البحار في الولايات المتحدة الأمريكية 1868-1911)

China and the Overseas Chinese in the United States, 1868-1911 لمؤلفها: Shih T sai وتكمن أهميتها بأنها الوحيدة التي قدّمت إحصائيات دقيقة حول المهاجرين وظروف معيشتهم في الولايات المتحدة، ويؤخذ عليها بأنها أغفلت البدايات الأولى للهجرة على الرغم من أهميتها في هذا المجال.

2- دراسة بعنوان (مرآة مختلفة، تاريخ أمريكا متعددة الثقافات) A Different Mirror لمؤلفها: Ronald Takaki حيث خصص الباحث فصلاً تناول فيه الهجرة الآسيوية إلى الولايات المتحدة، وأكثر ما يميّز هذه الدراسة أنها احتوت على رسائل ومخاطبات تم تبادلها بين المهاجرين وبين عائلاتهم في الصين، مما يعطي صورة واضحة عن ظروف معيشة المهاجرين وموقف المجتمع الأمريكي الأبيض منهم، وفيها تركيز على واقع المرأة الصينية في الولايات المتحدة ومعاناتها.

3- رسالة ماجستير بعنوان (هنا كانت الأرض الموعودة، الهجرة إلى الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر، دراسة مقارنة بين ثلاث مجموعات عرقية) Her was the Promised Land, Nineteenth Century Migration to the United States: Sophie Heijkoop a comparative Study of three ethnic groups وعلى الرغم من كونها دراسة مقارنة بين المهاجرين الصينيين والاييرلنديين والاطاليين إلى الولايات المتحدة، إلا أنها تعد مهمة نظراً لتنوع مصادرها، وتركيزها - بدلالات وشواهد تاريخية - على الجانب العنصري في منظومة القيم والقوانين الأمريكية، التي جعلت من لون البشرة والعرق، المعيار الأساسي لمفهوم المواطنة.

4- أما فيما يتعلق بتاريخ الصين وأوضاعه الداخلية خلال فترة الدراسة، فيعد كتاب (الصين من حرب الأفيون إلى ثورة 1911) China from the Opium War to the 1911 Revolution لمؤلفه: Chisinau وآخرون مرجعاً مهماً لفهم الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي دفعت بالصينيين إلى الهجرة، ومدخلاً لتحليل الجداول الإحصائية

5- ما مدى تأثير القيود القانونية والاجتماعية والاقتصادية التي فرضتها الحكومة والمجتمع الأمريكي في نشأة وتطور الأقلية الصينية في الولايات المتحدة الأمريكية؟

الصين في مطلع القرن التاسع عشر: عوامل الطرد السياسية والاقتصادية والاجتماعية

ظلت الصين كباقي مناطق الشرق الأقصى عالماً مجهولاً بالنسبة للدول الأوروبية حتى عام 1498م، حين وصلت البعثة البرتغالية بقيادة فاسكو دا جاما Vasco Da Gama إلى ميناء كاليكوت Calicut على الشاطئ الجنوبي الغربي للهند، مما شكّل نقطة تحول في تاريخ شرق آسيا وأوروبا على حد سواء، إذ سرعان ما انكسر طوق العزلة الذي اتسمت به العلاقة بين الشرق الأقصى والغرب (Subrahmanya:2012)، ومنذ مطلع القرن السابع عشر بدأ الهولنديون والبريطانيون والفرنسيون بتوطيد نفوذهم في سواحل وجزر الشرق الأقصى، ولأجل ذلك تأسست شركة الهند الشرقية الانجليزية، والشركة الفرنسية للهند الشرقية، ولاحقاً تراجع النفوذ البرتغالي بدءاً من عام 1680 ليحلّ محله النفوذ الهولندي، مما شكّل نقطة تماس مباشر ما بين القوى الغربية والصين، خاصة بعد السيطرة على جزيرة تايوان (Newitt: 2005).

شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر تطورات سياسية واقتصادية مهمة انعكست بشكل مباشر ومؤثر على العلاقات الصينية الغربية، فنتيجة للثورة الفرنسية والحروب النابليونية وانشغال إيطاليا وألمانيا بقضايا الوحدة، واحتلال بريطانيا للأراضي المنخفضة، وتجريد هولندا من مستعمراتها الشرقية باستثناء سيلان، وتعاظم رأس المال البريطاني بسبب جنيتها لثمار الثورة الصناعية، كل ذلك جعل من بريطانيا سيّدة للبحار والمحيطات بلا منازع، والقوة الاقتصادية التجارية المهيمنة على تجارة الشرق، خاصة أن الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك كانت في طور التكوين السياسي، ولم تكن حدودها قد بلغت الساحل الغربي (بانيكار:1962).

حين بلغت الأساطيل البريطانية سواحل الصين في مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر أملاً في كسر عزلتها وانغلاقها على ذاتها، وفتح أراضيها للبضائع البريطانية، كانت الصين تحت حكم أسرة المانشو Manchu (1644-1912) وقد أحاطت نفسها بجدار من العزلة والانغلاق، ورفض كل ما هو أجنبي، على الرغم من كونها الإمبراطورية الأكبر في العالم من حيث المساحة وعدد السكان، حيث بلغت مساحتها في عام 1840 حوالي تسعة ملايين كم مربع، وعدد سكان يربو على 410 مليون نسمة وفق إحصائيات السكان لعام

1839 (Chesneaux:1976)، إلا أنها لم تكن تهتم بالتجارة البحرية، ولديها تقليد قديم راسخ بأن تبادل السلع مع الأجانب يتنافى مع كرامة الصينيين (بانيكار:1962)، لأن الصين وفق الرؤية الكونفوشية Confucianism تعد مركز الأرض، والإمبراطور ابن السماء، يحكم بتقويض منها، وليس بمقدور الحكام الأجانب أن يكونوا على قدم المساواة معه، حتى أنه لم يكن لدى الصين وزيراً للشؤون الخارجية في تلك الفترة (Chesneaux:1976)، وحين بلغت الضغوطات الغربية على الصين أوجها في مطلع القرن التاسع عشر، استجاب الإمبراطور بتعيينه مندوباً عنه للاتصال مع الأجانب، الذي اتخذ من كانتون Canton ميناءً وحيداً مفتوحاً للتجارة مع الغرب مقراً له (Chesneaux:1976)، ولتفايدي الاتصال المباشر مع التجار الغربيين تشكلت نقابة من التجار الصينيين (كو-هونج) ليكونوا وسطاء، إذ لم يكن مسموحاً للأجانب بالاتصال المباشر مع أي موظف يمثل سلطة الإمبراطور، ولم يكن يسمح لهم بدخول المدن، أو تقديم عروض مباشرة إلى حكام المدن، إلا من خلال التجار الصينيين، بعد أن يتركوا التماسهم عند حارس بوابة المدينة (درويش:1997) وحُدّدت أماكن إقامة الأجانب، ومنعوا من استخدام النساء أو الخدم الصينيين، أو التنقل إلا سيراً على الأقدام (بانيكار:1962).

كان للتقاليد الصينية وما أفرزته من تقسيمات طبقية، أن جعلت التجار في المرتبة الثالثة في سلم الطبقات الاجتماعي، ففي حين تصدر المجتمع فئة الموظفون والمعلمون والفلاسفة، وجاء بعدهم المزارعون، على الرغم من فقرهم وسوء أحوالهم في غالب الأحيان، وهكذا كانت النظرة إلى التجار نظرة دونية، على اعتبار أنهم يجنون ثروتهم من خلال عمل غيرهم، ولذلك حُرّموا من الانتقال إلا سيراً على الأقدام، وكان ممنوعاً عليهم استخدام العربات أو لبس الحرير (ديورانت:2010)، وانسحبت تلك النظرة على الأجانب عموماً وفئة التجار على نحو خاص. وحتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت الصين بلداً زراعياً، لم تول الصناعة الحديثة شأنًا، واكتفت بتصدير الشاي والحرير والأقمشة المزركشة إلى ميناء كانتون، وبيعه للأجانب دون أن يأخذوا منهم بالمقابل شيئاً يذكر، فلم يكن من وجهة نظر الصينيين ما يوجد لدى الغرب ما يستحق الشراء (بانيكار:1962).

عملت غالبية الأسر في الصين في الزراعة وتحملت تقلباتها وفق نظام أشبه ما يكون بالإقطاع، لقاء الحصول على ما يسدّ جوعهم، وتعرضوا للمجاعة في كثير من المواسم، بل والموت جوعاً بسبب الفيضانات وسوء المواصلات وارتفاع عدد السكان، حتى بات الإنتاج الزراعي لا يغطي حاجات السكان

وتمت مصادرة عشرات الأطنان من هذه المادة من مخازن التجار الأجانب وأحرقت، وأجبر التجار الأجانب ووكلائهم على توقيع تعهدات بعدم المتاجرة بهذه المادة مستقبلاً، وأن يكون الإعدام عقوبة من يتورط بهذه التجارة (Greenberg:1970). لكن بريطانيا لم تكن لتتخلى عن تجارة تُدرّ عليها ملايين الدولارات سنوياً، ولذلك بدأت تتحين الفرصة لافترال أزمة مع الصين تكون ذريعة لإجبارها على فتح موانئها للتجارة بشتي أنواعها.

وفي 7 تموز 1839 بدأت شرارة الصدام بين بريطانيا والصين بسبب رفض البريطانيين تسليم اثنين من البحارة اتهموا بقتل مواطن صيني، وردّت الصين بحصار هونج كونج ومكاو، وفي 3 تشرين الثاني 1839 بدأت السفن البحرية بمهاجمة الأسطول الصيني، وانطلقت فيما بات يعرف تاريخياً بحرب الأفيون الأولى، والتي انتهت في عام 1842 باستسلام الصين ورضوخها للشروط البريطانية، التي تضمنتها معاهدة نانكينج (Chesneaux:1976) بفتح خمسة موانئ أمام التجار الأجانب وعائلاتهم، وتسهيل تحركهم وإلغاء نظام الكفيل (الكو- هونج)، وتعيين قناصل بريطانيين في كل ميناء، وتخفيض رسوم الجمارك، وأن تتنازل الصين لبريطانيا عن هونج كونج بشكل نهائي (درويش:1997)، وهو ما شجّع الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا على توقيع اتفاقيات مماثلة في عام 1844، وأصبحت موانئ الصين الساحلية مسرحاً للأجانب وسلعهم، وأضيفت فقرات في المعاهدات تسمح بالتبشير للديانة المسيحية.

لم تكتف الدول الغربية بخمسة موانئ مسرحاً لنشاطها التجاري، حيث لم يُشر الميزان التجاري إلى تحسن واضح في ميزان المدفوعات، وكانت الرغبة تتزايد بفتح التجارة في كل الموانئ والمدن الصينية الساحلية والداخلية، والمشاركة في التجارة النهرية داخل الصين تحت حماية سفنها الحربية، وتعيين سفراء أجانب في العاصمة بكين وفق البروتوكولات الدولية، ولأجل ذلك افتعلت بريطانيا مرة أخرى حادثة أدت إلى اشتعال حرب الأفيون الثانية 1856-1860، التي شاركت فيها فرنسا إلى جانب بريطانيا، وانتهت بإجبار الصين على توقيع معاهدي تيان تسن 1858 ومعاهدة بكين 1860، اللتان شارك في توقيعهما الروس والأمريكيون والبريطانيون والفرنسيون، وعزّزوا من هيمنتهم على الصين، واستجابت الصين مكرهة لبنود المعاهدات بما فيها فتح كل الموانئ الصينية أمام التجار الأجانب، وإباحة التبشير في كل المناطق، والحق في التعامل المباشر مع التجار الصينيين، وحرية مرافقة الفرقاطات المسلحة للسفن التجارية، والسماح بتجارة العمال الصينيين (الكولاي)

المتزايدة (ديورانت:2010). وهو ما شكل دافعاً للهجرة خارجاً والبحث عن حياة أفضل، فقد كتب أحد المهاجرين الصينيين إلى الولايات المتحدة يصف أحوال معيشته في الصين:

(...كانت عائلتي مكونة من 4 أفراد أنا ووالدي وشقيقتي نسكن بذات المنزل المكون من غرفتين، خصصتا للنوم والمعيشة والطبخ والاستقبال... كنا نعيش طيلة العام بست سلال من الأرز يتقاضاها والذي لقاء عمله كمراقب ليلي، في بعض المواسم حين لا يحقق الفلاحون زراعة جيدة، كنا نجوع لأيام، كثيراً ما اضطررت للذهاب مع والدتي إلى حقول الأرز لالتقاط بعض حبات الأرز التي أسقطها الحصادون... كنا نمتلك الملح والماء فقط، وقليل من حبات الأرز لنعيش) (Takaki:1998).

استناداً إلى التعاليم الكونفوشية وما استقرت عليه العادات في الصين، كانت الأسرة هي العنصر الأهم في بناء المجتمع، حيث مارس الآباء دوراً متفرداً في إدارة شؤونها، بينما كانت المرأة الأقل شأنًا في ذلك النظام الاجتماعي، وذلك بسبب ضعف طاقتها على العمل مقارنة بالرجل (Ling:1998)، حيث إن الأبناء الذكور هم القادرون على العمل وتقديم القرابين للآباء والأسلاف، وبما أن المرأة عنصر مستهلك، إذ سرعان ما تنزوج لتعمل لمصلحة أسرة زوجها، كان تعدّد الزوجات ظاهرة اعتيادية بل محبّدة، لغايات إنجاب المزيد من الأبناء الذكور، وفي الوقت الذي لم يكن للأثني الحق في مخالطة الرجل الذي يرغب بالزواج منها إلا حين يتم الزواج، أجازت القوانين في الصين ترخيص المواخير والإشراف عليها، مما جعل من انتشار الزنا أمراً اعتيادياً، وجرت العادة بأن يؤخذ أجملهن هدايا بين الأغنياء وكبار الموظفين (ديورانت:2010).

شهدت الفترة 1820-1835 إصراراً بريطانياً على انتهاج سياسة الباب المفتوح مع الصين، ولما قيلت بعثاتها إلى الإمبراطور بالازدراء والصدود، وأصرّت الصين على رفض تبادل التمثيل الدبلوماسي مع الدول الغربية، بدأت بريطانيا بتوطيد قاعدتها في سنغافورة لاتخاذها منطلقاً لعمليات عسكرية محتملة قريباً من ساحل الصين الجنوبي، وقد شاركهم التجار الغربيون ذات المطالب بسبب اختلال ميزان المدفوعات لصالح الصين، التي تأخذ مقابل بضائعها العملة الذهبية والفضية، ولا تشتري شيئاً، فلجأت بريطانيا إلى تنشيط تجارة الأفيون وتهريب هذه المادة المخدّرة إلى الصين عبر ميناء كانتون، حتى أصبحت ظاهرة اجتماعية واقتصادية مقلقة، شكّلت تحدياً حقيقياً أمام الحكومة الصينية، وفي عام 1839 بادر الإمبراطور بإرسال مندوباً عنه إلى ميناء كانتون وخوّله صلاحيات واسعة للقضاء على هذه التجارة ومنع تهريبها،

Coolie Trade وإباحة التجارة بالأفيون (بانينكار: 1962).

شكّلت حرب الأفيون الأولى والثانية وسلسلة المعاهدات غير المتكافئة التي وقعتها الصين مع الدول الأجنبية أهمية خاصة في التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تاريخ الصين الحديث، وما يهمننا في مجال هذه الدراسة أنها سمحت للعمال الصينيين بالهجرة والعمل خارج حدود الإمبراطورية، بعد أن كان ذلك من المحرّمات، وأنها أحدثت قلاقل اجتماعية انتهت بثورات ذات طابع سياسي واجتماعي واقتصادي، أسهمت في جعل الصين أكثر انفتاحاً على الخارج، وبالوقت نفسه بيئة طاردة للسكان بسبب كثرة الثورات وما صاحبها من تردي الأوضاع الاقتصادية، مما جعل الهجرة حلاً متاحاً لمن يرغب بحياة أكثر أمناً واستقراراً ورفاهية.

انسحب تراجع هيبة النظام الإمبراطوري أمام القوى الغربية على هيئته في الداخل، ولذلك شهدت الصين عدة ثورات محلية خلال الفترة 1820-1870 كان من أهمها ثورة التايبينج Taiping 1853-1864 التي تعود في جذورها إلى نقمة المزارعين بسبب مزاحمة القطن الانجليزي لمنتجاتهم، وحقدهم على أسرة المانشو الحاكمة، التي أباحت أراضي الصين للأجانب، ونجم عن الثورة آلاف القتلى، وهُتَمَت مدن وقرى ومزارع، مما أدى إلى زعزعة الاستقرار في الصين (Chesneaux:1976). وكذلك شهدت الفترة 1820-1836 تسع ثورات فلاحية في أقاليم مختلفة لأسباب تتعلق بقسوة النظام الضريبي، وتوسع الموظفين الحكوميين، قمعتها السلطة بوحشية مطلقة (Chesneaux:1976)، واندلعت ثورة نيان Nian خلال الفترة 1853-1868 في وسط وشرق الصين، مستهدفة التخلص من النظام الإقطاعي وسيطرة الأغنياء، وكذلك ثورات المسلمين جنوب غرب الصين، والتي استمرت قرابة ربع قرن 1853-1874 والتي تُصنّف بأنها حركة انفصالية لأقلية عانت اضطهاداً دينياً من قبل السلطة (Kim:2004)، وغيرها العديد من الثورات، التي شكّلت مجملها - وان تعددت أسبابها وتباينت نتائجها - تقويضاً لأركان الإمبراطورية، وتراجعاً في حالة السلم الاجتماعي، مما انعكس سلباً على حياة المواطنين العاديين، وخاصة الفلاحين، الذين شكّلوا السواد الأعظم من السكان.

شهدت الفترة 1820-1850 من تاريخ الصين ارتفاعاً ملحوظاً في عدد المجاعات والفيضانات والأوبئة وغزو الجراد، حيث تسبّب نهر الهان وحده بستة عشر فيضاناً خلال الفترة 1821-1850، والأخطر من ذلك أن عدد السكان ارتفع من 295 مليوناً في عام 1800 إلى 412 مليوناً، مما شكّل ضغطاً على القطاع الزراعي وفاقم من مشكلات الاقتصاد المتراكمة (Chesneaux:1976).

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن الصين التي ظلّت قروناً طويلةً مغلقةً أبوابها تجاه كل ما هو أجنبي، مُترقّعة عن إقامة علاقات مع الخارج، وبسبب تأخرها عن ركب الحضارة الغربية لعدم استفادتها من مخرجات الثورة الصناعية، أضطرت أخيراً مكرهة للرضوخ لمتطلبات النظام الصناعي الغربي الحديث، فبسبب مساحتها الواسعة وتعداد سكانها الهائل، كانت محط أنظار الغرب كله، أملاً في كسر جدار عزلتها واستباحة أراضيها ومنتجاتها، وجعلها سوقاً استهلاكية لتحقيق أقصى حدود الربح وبشتى الوسائل، من هنا جاءت حرب الأفيون الأولى والثانية متذرّعة بحجج واهية، في الوقت الذي تهاوت فيه سلطة الدولة ومكانتها لدى رعاياها، مما شكّل حافزاً للفئات المتدمرة للتعبير عن سخطها، مستغلة حالة الاحتقان الشعبي وخاصة لدى المزارعين، الذين عانوا مرارة التسلط من قبل النظام، وقسوة الطبيعة في كثير من الأحيان.

الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن التاسع عشر:

عوامل الجذب

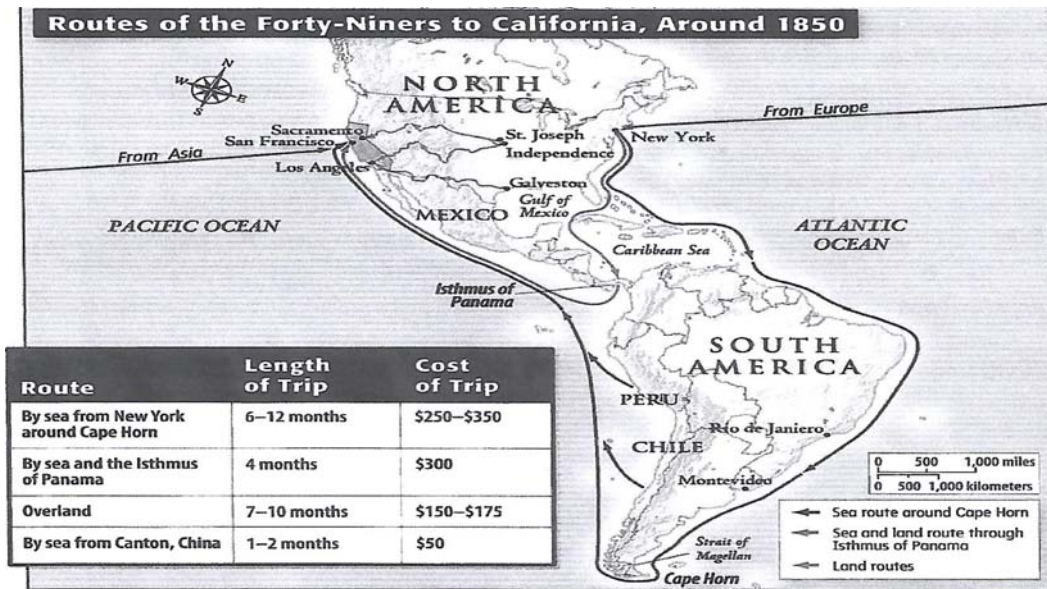
تعود البدايات الأولى للوجود الأوروبي في مناطق الساحل الغربي الأمريكي إلى عام 1777 حين وصلت أول بعثة عسكرية إسبانية إلى لوس انجلوس برفقة 22 عائلة من الهنود والإسبان والسود وأسسوا فيها تجمعاً استيطانياً، وفي عام 1821 استقلّت المكسيك عن إسبانيا، وبذلك انتهى الدور الإسباني وأصبحت مناطق الغرب الأمريكي نهبا بين المغامرين والضباط العسكريين المكسيكيين والمزارعين، ومنذ العهد الاستعماري اعتاد سكان الولايات المتحدة الأمريكية الزحف شرقاً، وبصدر قانون تنظيم الولايات في عام 1787 - الذي أجاز لسكان الأقاليم الجديدة بالتقدم إلى الكونجرس بطلب الانضمام كولاية إذا بلغ تعدادهم 60 ألفاً - ازدادت حركة الانتقال غرباً، وفي عام 1821 انضمت ست ولايات جديدة، إلا أن ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر تعتبر نقطة تحول مهمة في التوسع غرباً وصولاً إلى المحيط الهادئ، فالغرب الأمريكي الذي ظلّ محفوفاً بمخاطر هجمات السكان الأصليين (الهنود الحمر) ولم تصله أية موجة من الهجرات الاستيطانية، - باستثناء بعض تجار الفراء والمغامرين الباحثين عن حياة برّية بإنشاء مزارع كبيرة وتربية قطعان الماشية - قد تغيّر، وذلك بفعل مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية، حيث تناقصت الولايات المتحدة وبريطانيا والمكسيك للسيطرة على تلك المناطق الشاسعة من الأراضي، وتمت تسوية الخلاف مع بريطانيا بموجب معاهدة أوريغون 1846 Oregon Treaty لتصبح المناطق جنوب خط عرض 49 ضمن حدود

الولايات المتحدة (Kutler:2003:Vol 3).

أما الخلاف مع المكسيك، فقد حاولت الحكومة الأمريكية حله حين عرضت شراء الأراضي التي تمثل ولاية كاليفورنيا حالياً في عام 1829، إلا أن المكسيك رفضت، وما أن جاء عام 1840 حتى بلغ عدد المزارع في كاليفورنيا أكثر من ألف مزرعة (Kutler:2003: Vol 2)، وحين اشتعلت الحرب الأمريكية - المكسيكية في عام 1846 بسبب الخلاف على حدود ولاية تكساس دخلت القوات الأمريكية إلى كاليفورنيا واحتلتها، ولاحقاً وقعت الحكومة المكسيكية معاهدة هيدالجو جودالوبي Hedalgo Guadeloupe تنازلت بموجبها عن كاليفورنيا لقاء 15 مليون دولار، وأرسلت الولايات المتحدة حاكماً عسكرياً لتنظيم شؤون السكان، وظل يعمل بالدستور المكسيكي، ذلك أن خلافاً كبيراً بين الولايات المؤيدة لنظام الرق والولايات المطالبة بإلغائه أحرّت انضمام كاليفورنيا كولاية جديدة إلى الاتحاد، خوفاً من الإخلال بالتوازن القائم آنذاك (Kutler:2003: Vol 2).

شهد عام 1848 حدثاً بارزاً جعل من مناطق الغرب الأمريكي محط أنظار الأمريكيين والأوروبيين للهجرة والعمل والسكن، فقد اكتشف الذهب في كاليفورنيا وبكميات هائلة، وهو ما جعل عشرات الآلاف من العمال وأسرههم يرتحلون إليها براً وبحراً، وهي السنوات التي عُرفت بفترة حمى الذهب The Gold Rush Era (Jones:1976)، فقد قُدِّر عدد سكان كاليفورنيا في الأربعينيات بـ

5 آلاف تقريباً، وقبل اكتشاف الذهب بعام واحد بلغ تعدادهم 14 ألف تقريباً، وفي العام الأول لاكتشاف الذهب ارتفع عدد السكان ليصل إلى أكثر من 100 ألف، وبمرور أقل من ثلاث سنوات قدر عدد سكان الولاية بـ 250 ألف (Clay:2011). وهكذا أصبحت كاليفورنيا مقصداً لآلاف المهاجرين من الداخل والخارج، قدموا إليها من ثلاث جهات، فمنهم من قدم براً متحملاً مشاق السفر في البراري والجبال، وغالباً ما كانت تتم مثل هذه الرحلات على شكل مجموعات تنطلق مع بداية فصل الربيع، في رحلة تستغرق 7-10 أشهر، بتكلفة قُدِّرَت بـ 150 دولاراً، وميزتها أنها كانت رخيصة وبإمكان المسافرين حمل أمتعتهم وحيواناتهم وبعض مستلزمات الحياة الجديدة من أثاث وغيره، أما الطريق الثاني فكان بحراً بالدوران حول القارة الجنوبية وصولاً إلى ميناء سان فرانسيسكو، وعادة ما كانت تأخذ الرحلة 6-8 أشهر بتكلفة قُدِّرَت بحوالي 350 دولاراً، أما الطريق الثالث فكان بحراً حتى برزخ بنما، وهناك يقطع المسافرون رحلة أخرى عبر البرزخ بالقوارب أو الدواب، وصولاً إلى ساحل المحيط الهادئ على الطرف الآخر للقارة، حيث تنتظرهم سفن تحملهم إلى ميناء سان فرانسيسكو بتكلفة بلغت حوالي 300 دولار واستغرقت 4 أشهر تقريباً، أما طريق الهجرة من الصين فكانت الأقصر والأقل كلفة، حيث بلغت تكاليف الرحلة حوالي 50 دولار، وبمدة زمنية لا تتجاوز شهرين (Jones:1976).



خريطة توضح الطرق التي سلكها المهاجرون للوصول إلى كاليفورنيا براً وبحراً.

الجدول (1)

أعداد المهاجرين الصينيين إلى الولايات المتحدة موزعين حسب الجنس 1848-1890 (Gibson and Jung:2002)

السنة	الذكور	الإناث	المجموع
1848	2	1	3
1849	323	N/A	323
1850	N/A	N/A	4.018
1860	33.149	1.784	34.993
1870	58.633	4.566	63.199
1880	100.686	4.779	105.465
1890	N/A	N/A	107.488

ويمكننا أن نستنتج من الجدول (1) ما يلي:

1- يعد اكتشاف الذهب في كاليفورنيا السبب الرئيس في زيادة معدلات الهجرة، فبعد أن كانت شبه معدومة نجد أنها ترتفع إلى عشرات الألوف بدءاً من عام 1850، وهو العام الذي شاعت فيه أخبار مناجم الذهب في مناطق الساحل الغربي.

2- يمكن الاستدلال من الجدول السابق إلى عوامل الطرد والجذب وتأثيرها على تدفق المهاجرين من الصين إلى الولايات المتحدة، حيث أن حالة عدم الاستقرار والاضطرابات التي شهدتها الصين كانت السبب في زيادة أعداد المهاجرين (Heijkoop:2009).

3- يظهر الجدول أن غالبية المهاجرين كانوا ذكوراً، وبالعودة إلى التاريخ الاجتماعي للصين نجد أن تقاليد المجتمع جعلت المرأة أدنى مستوى ومكانة من الرجل، ونادراً ما سُح لها بمغادرة قريتها (Chesneaux:1976)، إذ اقتضت التقاليد بأن المرأة المحترمة التي تنتمي لأسرة مرموقة لا تغادر منزلها ولا تتبع زوجها للعمل، فقط اللاتي ينحدن من طبقة مُعدمة يُسافرن ويكدحن ويعملن بشتى أنواع الأعمال، وهذا ما يفسر أن غالبية النساء المهاجرات إلى الولايات المتحدة كُنَّ من المومسات أو من ذوات الأقدام الكبيرة، حيث ظهرت عادة القدم الذهبية أو القدم الصغيرة في الصين لدى نساء القصر الإمبراطوري في القرن العاشر، وأعتبرت القدم الصغيرة من مظاهر الجمال وشرطاً للزواج، وكانت الأمهات يُجبرن بناتهن على طي أصابع القدم ولبس أحذية صغيرة الحجم بحيث لا تتجاوز قدم الفتاة 9-15 سم، ثم انتقلت هذه العادة إلى الأسر الراقية وبقية شرائح المجتمع، واعتبرت من مستلزمات الصعود الاجتماعي (Tsai:1983).

ويمكن إضافة مجموعة أسباب جعلت الهجرة تتسم بالطابع الذكوري، أهمها ارتفاع تكاليف الرحلة، فإذا ما اصططح الرجل زوجته وعائلته فلن تعد هجرته مجدية من الناحية الاقتصادية، فقد بلغت تكاليف الرحلة للشخص الواحد 70 دولار تقريباً،

وبسبب زيادة أعداد المهاجرين في مناطق الساحل الغربي ومطالبتهم بحكومة فاعلة، فقد وافق الكونجرس بتاريخ 1850/9/9 على ضم كاليفورنيا إلى الاتحاد، والبدء بتنفيذ شبكة من السكك الحديدية لترتبط الساحل الغربي بالولايات الشرقية والشمالية والجنوبية (Kutler:2003:Vol 2).

تعد مذكرات لي شو Lee Chew أحد المهاجرين الصينيين الأوائل الذين قدموا إلى الولايات المتحدة مصداً مهماً للتعرف إلى دوافع الهجرة وحيثياتها، وكيف شكّلت كاليفورنيا وذهبها حلماً للكثيرين للسفر إليها، فقد كتب يصف شعوره عند رؤيته لرجل من قبيلته عاد للتو من الولايات المتحدة بعد أن حقق ثروة:

(... كان عمري 16 عاماً حين عاد رجل من قبيلتنا واشترى أرضاً وجعل منها جنة، وبنى فيها قصراً صيفياً... فيها أشجار وورود وطيور وحيوانات... لقد ملأت ثروة الرجل عقلي وسيطرت على تفكيري، وقررت أنه يجب علي الذهاب إلى أرض السحر والغنى وأن أجني ثروة عظيمة...) (Chew:2003) وهكذا فإن اكتشاف الذهب وما تبعه من قيام صناعة التعدين ومد شبكة هائلة من السكك الحديدية، كان العامل الأبرز في جعل مناطق الغرب الأمريكي بشكل عام وكاليفورنيا بشكل خاص عوامل شجعت الهجرة إليها بنوعيتها الداخلية والخارجية.

الهجرة الصينية إلى الولايات المتحدة: نوعية المهاجرين،

تعدادهم وأماكن توزيعهم

درجت التقاليد الصينية قبل القرن التاسع عشر على اعتبار مواطنيها المهاجرين منها للعمل في أرض أجنبية هاربين وخونة ومجرمين، وفُرضت عليهم غرامات وأنزلت بهم عقوبات وصلت درجة الإعدام (Tsai:1983)، لكن سوء الأوضاع الاقتصادية لم يمنع الراغبين بالهجرة من التسلل خارجاً، حيث كانت وجهتهم جنوب شرق آسيا والبحر الكاريبي، ووصلوا إلى كوبا وجامايكا والبيرو، وظهرت تجارة الكولاي، وهي أشبه ما تكون بتجارة العبيد، حين بدأ مغاولون أجانب بجلب العمال من الصين للعمل في قطاع الزراعة وكانوا يعملون كالعبيد (chan:1991) وتشير إحصائيات السكان في الولايات المتحدة إلى أنه وقبل عام 1849 كان عدد الصينيين المتواجدين على أراضيها ثلاثة فقط، لكن اكتشاف الذهب في كاليفورنيا جعل الأرقام تزداد تصاعدياً وبشكل ملحوظ، والجدول التالي يوضح أعداد الصينيين المهاجرين إلى الولايات المتحدة خلال الفترة 1848-1890 موزعين حسب الجنس (Chan: 1991).

عام 1890 حوالي 35% من مجموع سكان المدينة (Heijkoop:2009). أما باقي الولايات فلم يتعد عددهم فيها المئات أو أقل.

تؤكد الإحصائيات أن غالبية المهاجرين من الصين قدموا إلى الولايات المتحدة وفي نيتهم جمع ثروة من خلال إقامة محددة، خاصة أن غالبيتهم كانوا من فئة الرجال الذين تركوا زوجاتهم وعائلاتهم في الوطن وسافروا في رحلة محفوفة بالمخاطر، من أجل جني ثروة يعودون بها لينتقلوا مع أسرهم من مستوى الفقر إلى ظروف معيشية أفضل، وقد أشارت بعض الدراسات الإحصائية إلى أن عدد المهاجرين من الصين إلى الولايات المتحدة خلال الفترة 1850-1867 بلغ 108.471 عاد منهم 45.887 مهاجراً (Tsai: 1983)، وهي نسبة تدلّ بشكل واضح على أن دوافع الهجرة كانت اقتصادية بالدرجة الأولى، ومحدداتها ومعيقاتها في العالم الجديد ساهمت بشكل واضح في عودة عدد كبير منهم إلى أوطانهم.

المجتمع الصيني في الولايات المتحدة: النواحي الاقتصادية والاجتماعية

احتلت صناعة التعدين والسكك الحديدية ما نسبته 60% من الأعمال التي شغلها المهاجرون الصينيون في الولايات المتحدة، بينما عمل 12.5% منهم في التجارة، أما البقية فقد عملوا في المصانع ومزارعين ومالكي محلات غسيل الملابس (Zinzius:2005). وفي البداية كان العامل الصيني مرحباً به ومفضلاً لدى الشركات الأمريكية، لكونها بحاجة ماسة للأيدي العاملة، ولأنه وصف بالهادئ والجدي والموثوق، والأهم من ذلك أنه قبل بأجر أقل من العامل الأبيض (Tsai: 1983). حيث كانت تدفع له شركات السكك الحديدية 35 دولاراً تقريباً في الشهر، وتؤمنه بمسكن، وتعطيه بدل طعام مبلغ تراوح ما بين 15-18 دولاراً في الشهر، وهكذا كان بمقدور العامل توفير جزءاً من النقود مدخرات، مكنته من إعالة نفسه وإرسال جزءاً منها إلى عائلته في الوطن (Heijkoop:2009). ومكنته كذلك من سداد الديون والفوائد التي تترتب عليه بسبب استدانته تذكرة السفر، خاصة أن بعض مكاتب الائتمان كانت تعرض على المهاجر مبلغاً من المال لإعالة عائلته في الشهور الأولى لغيبابه (Tsai:1983).

كانت ظروف العمل بالنسبة للمهاجرين الصينيين صعبة وقاسية وخطيرة في معظم الأحيان، وخاصة أولئك الذين عملوا في قطاع السكك الحديدية ومناجم الذهب، وهم الأغلبية، حيث بلغت نسبتهم ثلثي العمال تقريباً، فقد اضطروا للعمل في ظروف مناخية قاسية، في الجليد والبرد والشتاء، وما تخلّل ذلك

وكانت عملية تمويل الرحلة تتم بإحدى الطرق التالية: لجأ كثيرون للتوفير سنوات لهذه الغاية، ومنهم من لجأ لبيع ممتلكاته، أو الاستدانة من الأقرباء، ولاحقاً تأسست مكاتب ائتمانية Credit- ticket كانت تمول تكاليف السفر لقاء أرباح مرتفعة وصلت إلى 200 دولار يدفعها المهاجر حين يصل إلى الولايات المتحدة، وتعهده بالعمل لدى شركات محددة لضمان استرداد المبلغ وفوائده (Zinzius:2005). وكذلك المشقة الكبيرة التي تحمّلها المهاجر ابتداء من خروجه من قريته وصولاً إلى الموانئ الصينية، ومن ثم الإبحار عبر المحيط الهادئ في رحلة قطعوا خلالها مسافة 7.000 ميل تقريباً، واستغرقت حوالي ثلاثة أشهر، بظروف صحية سيئة، حيث الاكتظاظ والأوبئة والطعام الرديء (Takaki:1998)، وهي معيقات قلّة من النساء كنّ قادرات على تحملها، وهذا ما يفسر أن نسبة الإناث من إجمالي عدد المهاجرين بلغت 3.5%، وهي نسبة متدنية جداً أحدثت خللاً واضحاً في بنية المجتمع الصيني في الولايات المتحدة. أما فيما يتعلق بتوزيع المهاجرين الصينيين في الولايات المتحدة، فنُظهر الإحصائيات أنهم تركّزوا في المناطق الغربية، وخاصة في ولاية كاليفورنيا.

الجدول (2)

توزيع المهاجرين الصينيين في الولايات المتحدة حسب الولايات خلال الفترة 1850-1890 (Gibson and Jung:2002)

الولاية	1870	1880	1890
كاليفورنيا	49.277	57.132	72.472
ايداهو	4.274	3.379	2.007
مونتانا	1.949	1.765	2.532
نيفادا	3.152	5.416	2.833
اوريجون	3.330	9.510	9.540
واشنطن	234	3.186	3.260
كولورادو	7	612	1.398
البنوي	1	209	740
لويزيانا	71	489	333
نيويورك	29	909	2.935

يُظهر الجدول بأن غالبية المهاجرون استقروا في منطقة الساحل الغربي بشكل عام وولاية كاليفورنيا بشكل خاص، وحتى مع زيادة أعداد المهاجرين سنوياً فقد استمرت الصورة ذاتها، حيث سكن الصينيون في المدن الكبيرة الغربية وأهمها سان فرانسيسكو San Francisco، التي أصبحت تُشكّل أكبر تجمع للصينيين في الولايات المتحدة، حيث بلغت نسبتهم في

الحي الصيني Chinatown وما زال هذا النمط من الأحياء موجوداً حتى اليوم (Heijkoop:2009)، وبما أن غالبية المهاجرين من فئة الذكور الغُراب فقد انقسمت هذه التجمعات وفقاً لرابطة العشيرة أو القرية في الوطن الأم، وشكلوا أندية تجمعهم لتكون بديلاً عن الروابط التي افتقدوها في الصين، هذه الروابط تطورت لتصبح منظمات، ولكل منظمة مقر ونادي ومعبد، تكفلت برعاية القادمين الجدد، وتأمينهم بفرص عمل وإقامة، والدفاع عنهم أمام المحكمة أو أية مشاكل قانونية، وتكفلت بمراسم الدفن أو إعادة جثث الموتى إلى قراهم في الصين وأطلق على هذه المنظمات الفونجز (Heijkoop Fongs:2009).

مارست بعض هذه المنظمات عملها بصرية تامة، واقتصرت العضوية فيها على أفراد ينتمون إلى عشيرة واحدة أو القرية ذاتها، انخرطت في تجارة المخدرات والجنس والمقامرة داخل المجتمع الصيني (Armond:2000)، ولم تحتك بمحيطها الخارجي، ولذلك ظلت أقلية غريبة غلب عليها طابع السرية.

يوصف مجتمع الصينيين في الولايات المتحدة كذلك بأنه مجتمع ذكوري، حيث أدى قلة عدد النساء الصينيات إلى حالة من عدم الاستقرار الأسري للمهاجرين، وهذا ما دفع الكثير من الشركات للبحث عن فتيات من الصين قبلن بالسفر إلى الولايات المتحدة والعمل مقابل عقود (Heijkoop:2009)، ففي عام 1870 بلغ عدد الصينيات في كاليفورنيا 3.536 سُجِّل 61% منهن مومسات (Heijkoop:2009)، عوملن معاملة أشبه بالعبودية، وتُرَكِن للإدمان على المخدرات، وبلا رعاية طبية، حيث تَشَتَّى الأمراض فيهن (Kandall 1994). وحين نشطت تجارة المومسات ما بين هونج كونج وسان فرانسيسكو أصدر الكونجرس قراراً في عام 1875 Page Law حظر بموجبه دخول النساء الصينيات إلى الولايات المتحدة، بحجة أن جميعهن مومسات وغير مؤهلات للإقامة في الولايات المتحدة (Lee:2003). وإن كان هناك من أسباب لانتشار هذه الظاهرة فلعل أبرزها أن غالبية المهاجرين فضلوا عدم اصطحاب زوجاتهم لأنهم قدموا وفي نيتهن العودة بعد فترة وجيزة، ولم يفكر غالبيتهم بإقامة دائمة، لأسباب اقتصادية واجتماعية، إضافة إلى حالة العنف والتمييز التي مورست ضدهم (Chan:1991)، وقسوة ظروف العمل والمعيشة، مما جعلهم يترددون في إحضار عائلاتهم، ورفض المجتمع الأبيض الاختلاط بهم (Armond:2000)، كل تلك الأسباب جعلت من هذه الظاهرة متفشية في المجتمع الصيني في الولايات المتحدة.

الموقف الأمريكي من الهجرة الصينية

بالعودة إلى البدايات الأولى لِقْدُوم المهاجرين من الصين

من عواصف وإنهيارات، وبعضهم دفن تحت التراب أثناء الحفر لحساب شركات لم تكن لتقبل بتوقف العمل يوماً واحداً (Takaki:1993)، وعمل عدد منهم في المزارع، وخاصة أولئك الذين قدموا من بيئة اشتغلت بالزراعة، ونظراً لخبرتهم فقد طُوروا الزراعة في المناطق الغربية الأمريكية، وأدخلوا محاصيل وطرق زراعة وري جديدة، وغالباً ما تقاضوا أجوراً إضافية إلى نسبة من الأرباح بعد جني المحصول (Heijkoop:2009). يضاف إلى ذلك قطاعات متعددة عمل بها الصينيون مثل: التجارة، خدمة المنازل، غسيل الملابس، الصيد البحري، عمال مصانع، ولكن بنسب بسيطة، ويلاحظ في تلك الفترة بأن قدوم العمال الإيرلنديين، ومنافسة العمال الصينيين لهم، شكّل نقطة تحول في خلق حالة من السخط الشعبي تجاههم، حيث فضلت الشركات توظيف العامل الصيني بثلاثين دولاراً في الشهر، بينما كان معدل أجره العامل الإيرلندي 3 دولارات في اليوم، وكثيراً ما كانوا يُعطَلُون العمل مطالبين بزيادة أجورهم، وهو ما دفع كثيراً من الشركات للمطالبة بإلغاء العمالة الإيرلندية، واستبدالها بعمالة من الصين تقبل بدولار واحد يومياً، أكثر انضباطاً، وتعمل بجد، ولا تُضَيِّع ساعة عمل طيلة النهار، وتعمل حتى في الأعياد (Takaki:1993).

لاحقاً، وبسبب العنف الذي تعرض له العمال الصينيون وسياسة التمييز العنصري التي مورست ضدهم، فضّل كثير منهم ترك قطاع التعدين والمناجم والسكك الحديدية والبحث عن فرص عمل أخرى تكون المنافسة فيها أقل، ومنهم من نجح بتكوين ثروة بسيطة مكنته من العمل لحسابه الخاص، وقد اعتاد الصينيون في الولايات المتحدة على إنشاء جمعيات تعاونية مالية غير ربحية، هدفها تمويل حاجات الأفراد المشاركين فيها بدون أرباح (Takaki:1987)، وبالعودة إلى مذكرات لي شو، نجده لدى قدومه قد عمل في خدمة أحد المنازل، وتمكن خلال سنتين من توفير مبلغ 410 دولارات، تمكن بواسطتها من افتتاح محل لغسيل الملابس في مخيم للتعدين، حتى تضاعف رأس ماله إلى أن بلغ 2.500 دولار، عندها انتقل للسكن والعمل في نيويورك، وهناك افتتح محلاً للبقالة (Tsai:1983).

أما من الناحية الاجتماعية فقد تخلل إقامة المهاجرين الصينيين في الولايات المتحدة كثيراً من التقييدات والتعقيدات، جعلت منه مجتمعاً مختلفاً ذا طابع خاص ومن شتى النواحي، منها ما هو ناتج عن الخلفية الاجتماعية التي قدم المهاجرون منها، ومنها ما واجهوه في العالم الجديد، وأول ما يوصف به ذلك المجتمع بأنه مغلق على نفسه، ارتبط أفراد بروابط اجتماعية قوية، ذلك أن العمال الصينيون احتشدوا في مجموعات متجانسة وسط محيط غريب، وهو ما أطلق عليه

كانت الأجور المدفوعة.

شهدت الولايات المتحدة الأمريكية منذ مطلع سبعينيات القرن التاسع عشر حالة من الركود والكساد الاقتصادي، وبانقضاء الحرب الأهلية الأمريكية في عام 1865 وهبوط معدل إنتاج الذهب في كاليفورنيا، وانتهاء مشاريع السكك الحديدية الكبرى باتت فرص العمل محدودة (Campi:2004)، حينها ارتفعت الأصوات المنادية بوقف الهجرة الصينية، بحجة أنهم يستنزفون ذهب أمريكا ويحولونه إلى الصين، وبأنهم رجعيون ووثنيون، عبيد خطيرون مخادعون جناء، مجرمون من جنس بشري أدنى، وباتت الوعود بوقف الهجرة الصينية شعارا انتخابيا يرفعه من يريد أن يحظى بأصوات الناخبين (Zhou:2003)، لكن سياسة الحكومة الأمريكية ومصلحتها التجارية في الصين حتى تلك الفترة اقتضت توقيفها مع الحكومة الصينية على اتفاقية بيورلنجيم Burlingame في عام 1868، والتي أعطت للتجارة الأمريكية امتيازات كبيرة مقابل السماح بهجرة الصينيين إلى الولايات المتحدة (Kutler:2003: Vol 1).

استمرت حالة الرفض الشعبي تجاه الأقلية الصينية، وظهر شعور عام بالسخط تجاهها، وبدأت المجالس التشريعية في الولايات الغربية تسن قوانين تحدّ من حرية حركة العمال الصينيين وتضيّق عليهم، وطالب أحد أعضاء مجلس الشيوخ الكونجرس بحظر الهجرة الصينية معللاً ذلك (... إنهم أي الصينيون) مختلفون عنا في الدين والثقافة والعادات والتقاليد، مأكلاًهم وملبسهم ونظامهم التعليمي مختلف، لا يؤمنون بقيم الحرية الأمريكية، وليس لديهم الرغبة بأن يصبحوا مواطنين، لا يميزون بين الخطأ والصواب كما نميزه نحن البيض، إن نمط حياتهم يتعارض كلياً مع نمط حياة الانجلو- سكسون (Sandmeyer:1973).

بدأ الصينيون يتعرضون لشتى صنوف المضايقة، ومما أورده لي تشو في مذكراته عن بعض تلك المضايقات نقتبس ما يلي:

(... كانت الغيرة تملأ صدور العمال البيض وخاصة الايرلنديين، الذين نعتونا بالجذام وبالعبيد وبأننا نحرّمهم من نيل أجور عادلة، على الرغم من أن الايرلنديين ملأوا السجون ودور الفقراء والأيتام، وكان الايطاليون كذلك مجرمون خطرون، واليهود قذرون إلا أنه سمح لهم كلهم بالعيش كمواطنين، أما نحن فقد كنا الأكثر التزاماً والأقل ارتكاباً للجرائم، مطيعون للقانون، ليس بيننا فقراء ولا معالين، ومع ذلك أغلقت الأبواب في وجوهنا.... كيف لنا أن نكون مواطنين وقد حُرّمنا استخدام زوجاتنا من الصين، وإذا ما حدث وتزوج صيني

إلى ولايات الساحل الغربي، يخلص الباحث إلى أنه في الغالب كان المجتمع الأبيض ينظر إلى القادمين الجدد بعين الرضا والترحيب (Heijkoop:2009)، وكُتبت العديد من المقالات في الصحف تدعو لدمجهم واحتوائهم في بنية المجتمع الأمريكي، ووصفهم البعض بأنهم هبة من السماء، وتم استقبالهم ضيوف وبطريقة لائقة (Takaki:1993)، هذه النظرة الايجابية حين كانت أعدادهم قليلة، والحاجة ماسة إليهم ولخدماتهم، ولكن لم تمض سنوات قليلة على تدفق الصينيين حتى تغير المناخ السياسي والاجتماعي تجاههم، وارتفعت شعارات بأن (كاليفورنيا للأمريكيين)، وبدأت سلسلة من الإجراءات للتضييق على العمالة الصينية كان أولها في عام 1852 بفرض ضريبة على عمال التعدين الغرباء وغير المؤهلين للحصول على الجنسية الأمريكية قدرها 3 دولارات شهرياً Foreign Miner Tax، وبما أن قانون الجنسية الأمريكي لعام 1790 حصر نيل الجنسية بالبيض فقط، فقد بات لزاماً على العمال الصينيين دفعها (Takaki:1993)، وكان عدد الذين ألزموا بدفع تلك الضريبة حوالي 24 ألف عامل صيني، أي ما يعادل ثلثي المهاجرين الصينيين (Takaki:1993).

إن دراسة سلسلة القوانين والتقييدات التي فرضها المجتمع الأبيض على العمال المهاجرين من الصين يجد بأنها تناسبت طردياً مع تعدادهم ومع الحالة الاقتصادية في كل ولاية، فكلما ازداد عددهم زادت مجموعة القوانين التي تحد من تدفقهم، بل وتضيّق على المتواجدين منهم أصلاً، يعزز تلك الإجراءات ويجعلها تتسارع بشكل أكبر مزاحمة المهاجرين الأوروبيين البيض الذين شكّلوا بديلاً مقبولاً، وكذلك حاجة سوق العمل.

كانت نقطة الصدام الأولى بين العمال الصينيين والبيض تتعلق بالأجور، فخلال الفترة 1841-1860 هاجر إلى الولايات المتحدة حوالي مليون ومائة ألف مهاجر من إيرلندا وحدها، قصد كثير منهم ولايات الساحل الغربي سعياً وراء الذهب ومشاريع السكك الحديدية، وكانوا راغبين بالتحكم بالأجور من خلال نقابات أنشأوها لتحسين أوضاعهم، في حين كانت الشركات تفضل استخدام العمالة الصينية لرخصتها وجديتها في العمل ورفضها للنقابات والإضرابات (Campi:2004)، حيث لم يكن لدى العمال الصينيين مزيداً من الوقت للإضراب والتعطيل عن العمل، كان غالبيتهم ملتزمون بعهود مع شركات لفترة محدودة، وعليهم التزامات تجاه ذويهم في الصين، وديون التزموا بسدادها مع أرباحها حين قرروا السفر والعمل، والأهم من ذلك أنهم ليسوا مواطنين وغير مؤهلين للحصول على الجنسية الأمريكية وحقوق المواطنة، وبالتالي كل ما يهمهم هو عدم تضيق يوم عمل واحد مهما

3- فرض القانون على الصينيين المقيمين تسجيل أسمائهم، ومن لم يدرج اسمه عد مقيماً غير قانوني مما يستدعي إبعاده عن البلاد. وكل من تثبت مخالفته أو تزويره للأوراق أو من يساعد أو يقوم بتهرب أي صيني إلى الولايات المتحدة براً أو بحراً يحاكم بغرامة لا تقل عن ألف دولار والسجن لمدة لا تزيد على خمس سنوات.

4- استثنى القانون موظفو البعثات الدبلوماسية والتجار المعتمدون وعائلاتهم وخدمهم من تلك الإجراءات بعد الاتفاق والتنسيق مع الحكومة الصينية (Lenno:2003).

وبنفاذ القانون الذي تم تجديده في عام 1892 وظل معمولاً به حتى عام 1943 - حين دخلت الصين في الحرب العالمية الثانية حليفاً للولايات المتحدة- تكون الحكومة الأمريكية قد استجابت للضغوط الشعبية ووضعت حداً لتدفق سيل المهاجرين من الصين، وهي المرة الأولى في تاريخ الولايات المتحدة التي تحظر دخول فئة بعينها إلى أراضيها، مما انعكس سلباً على الأقلية الصينية وزاد من معاناتها، حيث بقيت منعزلة مغلقة على ذاتها، لم تعطى فرصة للعيش والتكيف الطبيعي مع محيطها.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى النتائج التالية

1- كانت أسباب الهجرة المبكرة من الصين إلى الولايات المتحدة تتمحور حول الفقر والجوع والرغبة في تحسين مستوى المعيشة للمهاجرين وعائلاتهم من خلال عملهم في الولايات المتحدة لفترة محدودة ثم العودة إلى أوطانهم. وكان لاضطراب الأوضاع السياسية والأمنية في الصين الدور الأكثر أهمية في زيادة معدلات الهجرة.

2- شكّلت ولاية كاليفورنيا الوجهة الأولى المفضلة لدى المهاجرين بعد اكتشاف مناجم الذهب فيها في عام 1849، وقبل ذلك لم يبد الصينيون اهتماماً بالهجرة إلى أي من الولايات المتحدة، بدليل الإحصائيات ومقارنتها قبل اكتشاف الذهب وبعده.

3- لم تمض سنوات معدودة على وصول المهاجرين من الصين حتى أصبحوا عنصراً غريباً غير مرغوب به، بسبب زيادة أعدادهم بشكل ملفت، وحالة الركود الاقتصادي، ومنافستهم للعمال البيض، وبذلك تكون الدوافع الاقتصادية هي المحرك الأساسي للعنصرية الكامنة في المجتمع الأمريكي الانجلو - ساكسوني، ففي الوقت الذي صدر قانون حظر الهجرة الصينية وخلال الفترة 1800-1910 استقبلت الولايات المتحدة 15 مليون مهاجر من مختلف مناطق أوروبا (Greer: 2007).

من أمريكية فتلك طامة كبرى، كانت الشتائم تكال لنا من كل جانب، ويتم الاحتيال علينا بأن يدعي البعض بأنهم فقدوا إيصالاتهم ويطلبوننا بملابسهم التي لم نستلم أي منها... ومع ذلك كنا نجني أموالاً ولكن بشق الأنفس... كان غالبية عمال السكك الحديدية والمناجم مسلحون بمسدسات على جنبهم، وإذا ما أفرطوا في الشراب يهاجمونا... يدمرون ويسرقون، أحدهم ضرب رأسه بعمود حديدي وادعى بأننا ضربه، وسرعان ما اجتمع كل العمال البيض، حرقوا مكان عملنا وسرقوا منا مدخراتنا وطردونا خارجاً بعد أن طالب بعضهم بشنقنا... (Chew:1903).

كانت المضايقات تزداد عنفاً يوماً بعد يوم، وقد شهد عام 1871 مذبحة ارتكبتها البيض بحق العمال الصينيين، راح ضحيتها 18 عاملاً على خلفية إصابة رجل ابيض أثناء تبادل لإطلاق النار في الحي الصيني (Moshier:2013)، وجاءت الخطوة الحكومية الأكثر جدية بقرارها في عام 1875 بحظر دخول النساء من الصين، بحجة أنهن مومسات، ويبدو أن الهدف الأبعد كان حرمان المجتمع الصيني من قابلية التكاثر والاستقرار، وإمعاناً في حرمان العمال الصينيين من أي فرصة للعيش على أمل اكتساب الجنسية وحقوق المواطنة، فقد أصدرت المحكمة العليا الأمريكية قراراً في عام 1878 قضى بأن المقيمين من أصول صينية غير مؤهلين للحصول على الجنسية الأمريكية ولا يحق لهم المطالبة بذلك (Lenno:2003)، ونص نظام تشغيل العمال في ولاية كاليفورنيا في عام 1879 على أحقية العمال البيض في نيل الوظائف، وفي عام 1880 عملت الحكومة الأمريكية على تعديل اتفاقية بيورلنجيم بحيث أعطت لنفسها الحق بتحديد وتنظيم الهجرة الصينية بما يتوافق مع حاجة وسياسة الحكومة الأمريكية (Kutler:2003: Vol 1)، وهكذا مهدت الإجراءات الحكومية السابقة الأجواء لإصدار الكونجرس الأمريكي قانون استبعاد الصينيين لعام 1882 The Chinese Exclusion Act.

وبالعودة إلى نص القانون يمكن ملاحظة النقاط التالية:

1- نص القانون الصادر في 6 أيار 1882 على منع دخول أو استقدام مهاجرين من الصين ولمدة 10 سنوات، ومنح القانون مهلة 90 يوماً للشركات والسفن الأمريكية والأوروبية لإنهاء مهامها بنقل مهاجرين من الصين، وهي المدة التي كانت تستغرقها الرحلة من موانئ الصين وصولاً إلى الولايات المتحدة.

2- فرض القانون على الشركات والسفن غرامة قدرها 500 دولار عن كل صيني يتم حمله على متن السفن بهدف إيصاله إلى الولايات المتحدة بعد نفاذ القانون.

فكثير منها نتاج سياسة الإقصاء والرفض التي قوبل بها الصينيون، مما جعل من اندماجهم في طبيعة الحياة والنظام الأمريكي أمراً في غاية الصعوبة.

4- يمكن عد المبررات التي أطلقتها المطالبون بوقف الهجرة الصينية والمتعلقة باختلاف عادات وتقاليده وديانة الصينيين سبباً هامشياً مقارنة بالأسباب الأخرى، وإن وجدت

المصادر والمراجع

- York. (3,6,49,64,66,89,108,45,46,47,24,25)
- Jones. P., (1976) The U.S.A.A History of its people and society since 1865. Volume 2. Chicago. University of Illinois. (393,384,385)
- Kandall. S. (1994) Women and Addiction in the United States 1850 to 1920. National Institute on Drug Abuse. Rockville. (35)
- Kim. H., (2004) Holy War in China: The Muslim Rebellion and State in China Central Asia, 1864-1877. Stanford. California University Press.
- Kutler. S., (2003) Dictionary of American History. Volume 2. New York, Charles Scribner's Sons. (205, 14, 9, 10,575,576,576)
- Lee. C., (2003) Prostitutes and Picture Brides: Chinese and Japanese Immigration, Settlement, and American Nation – Building 1870-1920. Los Angeles. University of California. (417-423)
- Lenno. Th., (2003) Becoming American, The Chinese Experience. National Foundation, Inc. (13, 23-24)
- Ling, H. (1998) Surviving on the Gold Mountain, A History of Chinese American Women and their Lives. New York. State University of New York Press. (17)
- Moshier. M., and others. (2013). Chinese American Historical Context. Washington. Christine Company. (6)
- Newitt, M. (2005) A history of Portuguese Overseas Expansion 1400-1668. New York: Taylor & Francis Group. (22, 23)
- Sandmeyer. E., (1973) The Anti – Chinese Movement in California. Illinois. Illinois University Press. (39)
- Subrahmanyam. S. (2012) The Portuguese Empire in Asia 1500-1700, A Political and Economic History. UK: John Wiley & Sons Ltd. (60, 67)
- Takaki. R. (1998) Stranger from different Shore, A History of Asian American. New York. Little, Brown and Company. (33, 70)
- Takaki. R. (1993) A Different Mirror, A History of Multicultural America. Canada. Little, Brown & Company. (195,196,197,195,196,195,195)
- Takaki., R., (1987) From Different Shores, Perspectives on
- بانينكار. ك. (19) درويش. والدرويش لغربية، ترجمة: عبد العزيز جاويد، مصر: دار المعارف (126،124،140،143).
- درويش. ف، (1997)، الشرق الأقصى، الصين واليابان 1853-1972. القاهرة. وكالة الأهرام (48،53).
- ديورانت. و. (2010) قصة الحضارة، 2433ق الأقصى الصين. مجلد 1. ج. ترجمة: زكي نجيب. بيروت. دار الجبل للطبع والنشر والتوزيع (248،243،266،268).
- Armond. M. (2000) Legal Dimensions of the Chinese Experience in Los Angeles 1860-1880. California. California Institute of Technology. (1860, 1880, 63)
- Campi. A. (2004) Remembering December 17: Repeal of the 1882 Chinese Exclusion Act. Washington. Immigration Policy Center. (2, 3)
- Clay. K. and Wrihr. G. (2011) Gold Rush Legacy, American Minerals and the Knowledge Economy. Stanford University. (68, 69)
- Chan. S. (1991) The Exclusion of Chinese Women 1870-1943. Philadelphia. Philadelphia University Press. (199, 22, 95)
- Chew. L. (1903) The Biography of a Chinaman. The Independent. 54. February 19, 1903. (217-223)
- Gibson. C. and Jung. K. (2002) Historical Census Statistics on Population Totals by race 1790-1990. Washington. U.S Census Bureau. (Table: A-19. C-1.C-3.C-4. C-11)
- Greenberg. M. (1970) British Trade and the opening of China 1800-42. London. Cambridge University Press. (191,192,193,194,195,196)
- Greer. C., (2007) Racism and Immigration. In: AP U.S History. Special Focus: Immigration in U.S. History. College Board. (13)
- Heijkoop. S. (2009) Here was the promise land, Nineteen Century Migration to the United States: A comparative study of three ethnic groups. Master Thesis. Utrecht University. (35, 58, 50, 51, 52, 56, 56, 61)
- Jean Chesneaux, J., and others. (1976) China from the Opium Wars to the 1911 Revolution. Pantheon Book, New

- Week. California. Pacific Community Development. (151)
- Zinzius. B., (2005). Chinese America, Stereotype and Reality, History, Present and future of the Chinese Americans. New York. Peter Lang Publishing. (12, 13)
- Race and Ethnicity in America. New York. Oxford University Press. (85)
- T sai. S., (1983). China and the Overseas Chinese in the United States, 1868-1911. Arkansas. University of Arkansas. (10, 11, 17, 22, 16, 17)
- Zhou. M., (2003). Once Excluded, Now Ascendant. Asian

Chinese Immigration to the United States of America in the Second Half of the Nineteenth Century: Motives, Distribution, and Challenges

*Mohammad Abdelrahman Bani Salamah**

ABSTRACT

This study aims to shed the light on the early Chinese immigration to the United States of America during the second half of the nineteenth century. It also aims to explain the reasons behind the immigration as well as the types of immigrants, their numbers, distribution, and the nature of the Chinese-American society in the new world and the challenges facing it. In addition, the study addressed the American official and popular position towards that wave of immigrants.

Keywords: U.S History. China History. Chinese- American Minority in America. Chinese migration.

* Department of History, College of Arts, Yarmouk University, Jordan. Received on 20/3/2016 and Accepted for Publication on 9/7/2016.